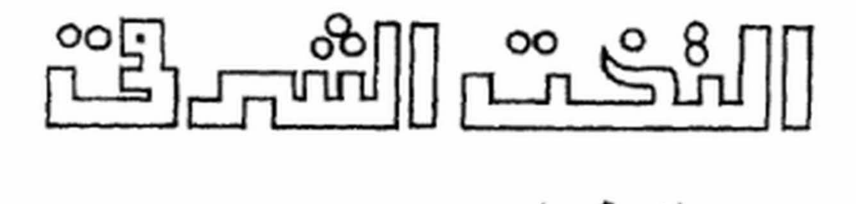
ذكريات عن المسرح المصري

محمود تيمور :





بين

مصطفى رضا وعبد الوهاب

◀ شاعت فى اعقاب الحرب العالمية الاولى حفلات السمر التى كانت تنظم على غرار حفلات ((النادى الاهلى)) ، وذلك لان هذا النادى نجح فى حفلاته نجاحا لفت الانظار الى هذا اللون من الترفيه والترويح ،بوسائل ميسورة

ولقد تبارت المنتديات الفنية فى اقامة تلك الحفلات، وفيها شهدنا بواكير النشاط لشخصيات اصابت من الشهرة بعد ذلك ما أصابت، ولمعت اسماؤها فى عالم الفنون ، ومازال بعضها يلمع حتى الان .. !

هذه الشخصيات بدأت أول ما بدأت على منصات تلك المنتديات ، فتهافتنا نحن شباب العصر نلتف حولها ، ونلتمس عندها أنسا وامتاعا ، اذ كانت حفلاتها

جامعة لاسبابشتى من التسلية والاطراب، في مظهر لا خلاعة فيه ولا اسفاف • كنا نشهد في هذه السهرات تمثيلا جديا ، وتمثيلا هزليا ، ونغذى عقولنا واذواقنا

بما ينشده المنشدون من بدائع القصائد وطرائف الازجال، وما يستملح من النكات والافاكيه • كذلك كنا نشنف الاسماع بروائع الالحان ، وبالاصوات الحسان

وليلة صحبت لمة من الرفاق الى احدى هذه الحفلات ، في دار متواضعة ، تقع في « شارع محمد علي » ، ذلك الحي الشعبي الذي عشعشت فيه ردحا من الدهر جوقات الموسيقيين ، وفرق المغنين ، و « العوالم » النساء التي كانت تضطلع باحياء الافراح والليالي الملاح

واذكر أننا لما بلغنا تلك الدار المتواضعة اجتزنا ممرا تكسوه العتمة ، وارتقينا سلالم عالية ، كانت تميد تحت اقدامنا، بل تكاد تتهاوى بنا • وانتهينا من السلم إلى بهو غير فسيح اكتظت فيه المقاعد ، فحشرنا حشرا في جمهرة الناس ؟ وسرعان ما توالت المشاهد على مسرح متخلخل ، لم يكن تحت اقدام أبطاله وهم يمثلون أكثر ثباتا من سلالم الدار تحت أقدامنا ونحن نرتقيها متخوفين حذرين

وكان « تخت » الموسيقى هو الفائز بالنصيب الاوفر فيما يعرضه المسرح ، وطرقت سمعي أول مرة في تلك الليلة كلمات « فاصل موسيقى » و « بشرف عثمان بك » و « طقشيوز » و « نهاوند » و « حجاز كار » وما اليها من مواضعات فنية في عالم اللحن الشرقي لذلك العهد

واشار صاحبي الى فنان يتوسط « التخت » على ركبتيه « قانون » ، وقال لي :

ـ الا تعرفه ؟
فقلت على الفور :
ـ لا • • •
فقال :

ـ انه رئيس النادي ، وتلميذ والعقاده ولما سماه لي ، لم أجد اسمه غريبا على سمعي ، لقد كان صاحبه وقتئذ في مستهل شهرته، يتسلق المجد في نشاطه، ولكن في غير يسر • فلشد ما وقفت في طريقه العقبات ، ولشد ما جهد في تذليلها ، حتى أوفى على الغاية مما يريد

رأيته ليلتئذ يجري أنامله على أوتار « القانون » كأنما هي النسيم يمر على



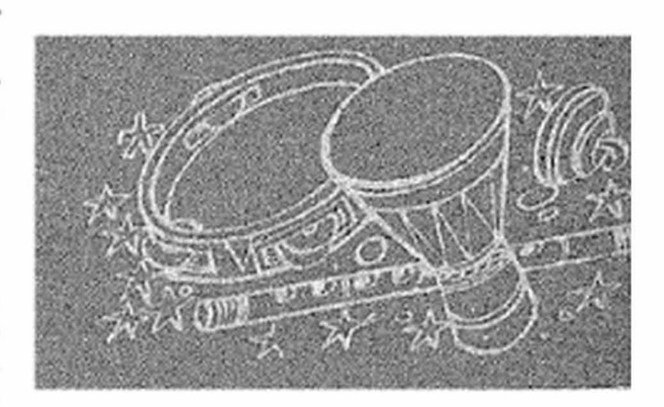


مصطفى رضا كان محافظا على القانون والطربوش والشارب !

جدول وادع ، فلا يلبث أن يترقرق موجه في هينة ورفق . ولقد كانت الانغام تترسل من « قانونه » كأنما هي مشاعر رقاقة في لحن حنون . وانك لتشهده وهو يتملك الاوتار في اقتدار . فاذا أنت لا تتمالك أن تحكم بأستاذية مبكرة . ونبوغ ملحوظ لصاحب تلك الانامل الساحرة

مصطفى رضا

كانت هذه أول مرة أرى فيها «مصطفى رضا» . وأول مرة أدخل ناديه الذي أنشأه وتعهده ورأسه طول حياته ، وأعني به « **نادى الموسيقى الشرقى** » - ولقد



أتاح لى طول العمر فيما أتاح أن أشهد هذا النادى من بعد فى مبنى خاص به ، يزهى بعظمته فى أعز بقعة من العاصمة

بدأ « مصطفى رضا » جهاده فى سبيل الموسيقى العربية داخل هذه الدار المتواضعة ذات السلالم الواهنة . فكان يلتقى فيها بالصفوة من أهل الفن ، أمثال أستاذه « **محمد العقاد** » . وممن كانوا يشهدون تلك الندوة « **يعقوب عبد الوهاب** » و «**حسين الور**» وهما من أشياع الموسيقى الشرقية المتحمسين لها . المقبلين عليها كل الاقبال . وكذلك « **صفر على** » ، وهو من عمد التلحين ، ومن أعلام العوادين . أعنى ضاربى العود ... هنالك كانوا يتذاكرون شئون الموسيقى . ويتداعون الى نصرتها . ويلتمسون الوسائل والخطط للنهوض بها ما وسعهم أن يفعلوا

واصبح « نادى الموسيقى الشرقى » على مر الزمن كعبة الفن ومثابة الفنانين ، يلم شمل العرب ، ويجمع شتاتهم على اختلاف مناحيهم . بل غدا مدرسة تنمو فيها نابتة فنية جديدة ، بفضل ما تتغذى به من توجيهات أساتذة هم الذين شقوا ذلك الافق ، وارتادوا تلك الطريق

وكان كلما وفد وافد من العرب ، له مشاركة فى العزف ، أو فى التلحين ، أو فى الغناء ، وجد فى ذلك النادى من يكرم وفادته ، يحتفى بفنه ، ويدنى من الجمهور مناله . وأذكر أنى استمتعت فى النادى مرة بموسيقى سورى ضارب على « البزق » ، ويوما بمغن سودانى يسمعنا انغام أهل الجنوب من وادى النيل ، وحينا بجوقة تركية تزف الينا ألحانا قومية مستحدثة

**

وكرت الاعوام تباعا ، و « مصطفى رضا » دائب فى عمله ، يسير به من حسن الى أحسن ، وهو يبذل فى سبيله كل ما فى طوقه من جهد وصحة ومال . حتى انتهى به الامر الى تحقيق هدفه الاسمى ، فرأينا ذلك المبنى الضخم يعلن فى فخار مولد « **معهد الموسيقى الشرقى** » ، وما لبث أن شملته الحكومة برعايتها ، وهو اليوم فى مكان الصدارة من معاهد الفن بعد أن أصبح « المعهد العالى للموسيقى العربية »

و « مصطفى رضا » من الشخصيات الطريفة حقا ، لم يكن بائن الطول ، ولا ظاهر القصر ، ولم يكن عظيم الجرم ، ولا بالغ النحافة .. كان وسطا فى قامته وحجمه ووزنه ، له شارب عريق كان به حفيا ، يشذبه ويهذبه ، ويفتل طرفيه فى الحفلات الرسمية التى تتطلب الوجاهة والابهة . وما خطر بباله قط أن يطيح بهذا الشارب على مذبح الفن ، كما يصنع الفنانون من أضرابه . وانما أبقى عليه ، وخصه بالكرامة . وان هذا لهو فى حقيقة أمره مظهر من مظاهر « المحافظة » التى كان يتميز بها ذلك الفنان الاصيل



محمد العقاد ، كان أستاذا لمصطفى رضا

وأحسب ان روح « المحافظة » وما يجب بها من شمائل الاعتدال والرزانة ومجانبة الجموح كانت تجرى فى كيان الرجل مجرى الدم فى عروقه . بل أن بناءه الجسمانى، من حيث التوسط فى الابعاد والاحجام ، لهو عنصر من « المحافظة » جادت عليه الطبيعة به ليكون رمز ما ركب فيه من طبع، وما بنى عليه من تكوين . فما كان اقرب الشبه بين خلقته وخلقه ، وما كان أيسر التماثل بين ظاهره وباطنه، ولكانما الطبيعة قد فرضت عليه نزعة التحفظ والاتزان فرضا لا يملك منه الفكاك

ربع المقام .. !

عرف « مصطفى رضا » بأنه شديد الحفاظ على الموسيقى الشرقية . بل أطلق عليه لقب « **شيخ المحافظين** » . ولست أنسى مناقشاته المتواصلة ، وجدله الدائم، فى الدفاع عن « ربع المقام » فى صفة الموسيقى . وأعترف بأنه لا أتبين على وجه الدقة ما خطب هذا « الربع المقامى » ، ولكنى علمت أن تمسك الموسيقيين الشرقيين به اضطرهم الى التحرز من اتخاذ الالات المستحدثة فى أداء النص الموسيقى الشرقى « النوتة » ، وأصروا على الاقتصار على اتخاذ « القانون » و « العود » وما اليهما من آلات تقليدية متوارثة ، وذلك لان تلك الالات المستحدثة لا تتسع لاداء « ربع المقام » العظيم

ولعل « مصطفى رضا » ، لم يستطع ان يبلغ فى تجويد الموسيقى الشرقية ما كان يطمح اليه الفنانون من دعاة الموسيقى الغربية ، ولكن الفضل الاكبر لذلك الفنان هو أنه نهض بالموسيقى الشرقية واحياها فى نطاقها على نحو يذكر له بالحمد والاعجاب . ولقد حافظ على تراثها بتسجيل أصولها وتحديد قدودها فى النصوص « النوتة » . وبذلك صان اسسها من الضياع ، وجدد دعائمها التى كانت تتقوض، وجعل منها بنية حية فى المجال الفنى المصرى

وأما « مصطفى رضا » عازفا . فقد بلغ الذروة فى العزف على « القانون » . وبز فى ذلك الاوائل والاواخر ، وشهد له بالتفوق الاشياع والمنافسون

واصدقاء « مصطفى رضا » يعرفون له حلاوة لسانه . وانس حديثه وعذب فكاهته . والحق ان شخصيته كانت محببة جذابة ، ومما يذكر له أنه كان متدينا شديد الورع ، وما أظنه فاته فرض صلاة . ولما رزق مولودا اسماه « تمام الدين » ، فسألناه :

ـ لماذا آثر هذا الاسم على غرابته ؟

اجاب والبشر يتألق على محياه :

ـ عندما تزوجت ظفرت بنصف الدين ، مصداقا لحديث الرسول : « الزواج نصف الدين » وعندما يحبونى الله بولد ، هو النصف الاخر . فبه تمام الدين

القانون .. والطربوش

ومن ذكرياتى معه أننا تلازمنا فى احدى السفرات ، قبيل الحرب العالمية الثانية ، للاستشفاء فى مدينة « فيشى » من أعمال « فرنسة » فلاحظت أنه حرص على أن يجعل بين متاعه شيئين، تشبث بهما غاية التشبث ، وعنى بهما أتم عناية . وهما : الالة الموسيقية « القانون » . وغطاء الرأس « الطربوش » ، وكانت حجته فى اصطحاب الالة الموسيقية أنه لا غناء له عن العزف

على « القانون » حيثما حل ، فهو طعامه وشرابه ، ما منه بد ولزام عليه ألا تخلو ليلة من مرانه عليه ، وتمرس به ، ومناجاة له . وأما « الطربوش » فقد رأيته لا يتخذه على رأسه الا وقت الصلاة ، وكأنما هو يأبى أن يتجه الى ربه مصليا له الا فى زيه الرسمى الشرقى ، أستكمالا لاسباب التوقير والاجلال لذات الله سبحانه

ومن طرائفه التى تروى عنه أنه لما عزم على أن يصهر الى أسرة « الدراملى » — وهى من الاسر المعروفة بالمحافظة على التقاليد — قصد الى المرحوم « سعيد ذو الفقار » الذى كان قد سبقه بالاصهار الى هذه الاسرة . وكشف له عن رغبته ، وطلب اليه أن يكون وسيطا بينه وبينها فى تلك المهمة وانثنى يقول له :

— قبل ان تتحدث فى شىء يتعلق بى ، احب ان اصارحك بانى عازف « قانون » .. ولا استطيع التخلى عن هذه الهواية ، فان قبلتنى الاسرة بهذا الوصف . فيمكن ان نتحدث فى غير ذلك من الامور

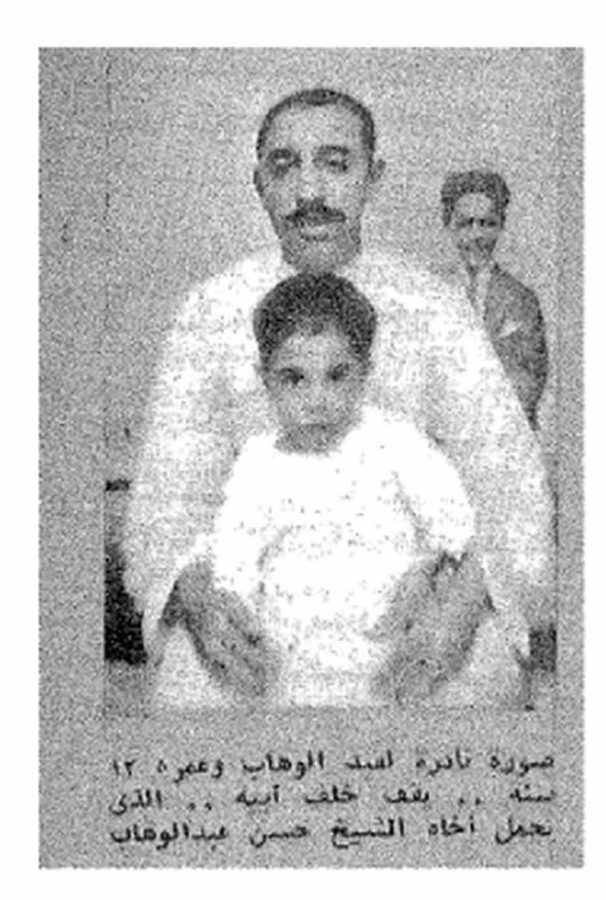
فابتسم له المرحوم « سعيد ذو الفقار » ، وأجابه وهو يربت كتفه ، متخذاً أسلوب « التورية » فى التنكيت :

— لا بأس عليك من « القانون » ... بيد ان كل شىء يجب ان يسير وفق « القانون » !

وتمت الزوجية على ما يرام ، ولعل « مصطفى رضا » لم يكن يدرى ساعة مصارحته للمرحوم « سعيد ذو الفقار » برغبته فى تلك المصاهرة ، ان « سعيد ذو الفقار » كان هو نفسه « ابن حظ » كما يقولون ، يهوى « العود » وله فى الغناء صوت حسن ، وربما كان ذلك من اسرار ترحيبه بتعديله عازف « القانون » الفنان . وكم من ليال أحياها ذانك الرجلان الفنانان فى داريهما ، ليال جمعت بين أعلام الموسيقى وعشاق الغناء فى ندوات كلها طرب وبهجة وايناس

عبد الوهاب

وفى احدى هذه الليالى — فى دار « مصطفى رضا » بـ « المنيل » — التقيت بالفنان



صورة نادرة لعبد الوهاب وعمره ١٢ سنة .. يقف خلف أبيه .. الذى يحمل أخاه الشيخ حسن عبدالوهاب

« **محمد عبد الوهاب** » ، فراقتنى منه دماثة خلق ، ولطف شمائل ، وابتسامة رقيقة يلقى بها المعجبين بفنه . وقد سمعت منه فى تلك الليلة الاستهلال الموسيقى للملحنة المشهورة « **الاوبرا** » المسماة « **حلاق اشبيلية** » فراعتنا براعته فى الاقتباس ، وحذقه فى المزج بين ألحان غربية وروح شرقية

ولم تكن هذه أول مرة أشهد فيها « محمد عبد الوهاب » فانى رأيته بادىء بدء — قبل ذلك بسنين — فى « دار الاوبرا » عندما كانت فرقة « عبد الرحمن رشدى » تؤدى مسرحياتها ، فكان « عبد الوهاب » يطرب جمهور النظارة فى الترويحة بين الفصول ، وسنه اذ ذاك لا تتجاوز الثالثة عشرة ، وكان يجيد أداء المقطعات التى اشتهر بها « **الشيخ سلامة حجازى** »

وفى تلك الحقبة كان ظاهر الضمور ، ضئيل الشخص ، يبدو فى حلة السهرة « السموكن » ظريفا وسيما يجتذب الانظار وكان يطيب لشقيقى « محمد تيمور » أن يحمله على ساعده ، ويطوف به فى دخائل



عبدالوهاب غني.. ولحن.. ومثل.. ولكنه تفوق في التلحين



المسرح « الكواليس » متظرفا معه

وتواردت الايام ، ونجم الفنان الناشيء يسطع ويتألق . ولم يقتصر على الغناء ، وانما عالج التلحين . فنجح فيه الى أقصى درجات النجاح

وتردد « عبد الوهاب » على « نادي الموسيقى الشرقي » ، وكان مصطفى رضا يحوطه ويعتز به . **وصرح لي يوما بان ذلك الفتى الفنان اتى في الموسيقى الشرقية بما لم يسبقه اليه سابق . وكان تصريحه هذا بمثابة مبايعة لـ « عبد الوهاب » بالامارة على « التلحين »**

وبعد ذلك اعتلى « عبد الوهاب » المسرح مصاحبا « منيرة المهدية » وهي من مجدها يومئذ في الاوج ، وذلك في المسرحية الغنائية « كليوباترا » ولكن التجانس كان بين البطلين الفنانين مفقودا ، فلم تنل المسرحية ما رجاه المحبون لها من توفيق

واحسب أن « عبد الوهاب » ملحنا اعظم منه مغنيا ، وان كان في التلحين والغناء كليهما عظيما . فصوته وان كان حنونا رقيقا لم يكن يصلح للغناء المسرحي ، واما موهبته في التلحين فلا تجارى .

وحسبنا أن نشير الى اغنياته : « بلبل حيران » و « في الليل » و « الجندول » وهو بلا شك آية العصر الحديث في الموسيقى الشرقية . له الفضل السابق في اشراب موسيقانا التقليدية أنغاما وايقاعات مقتبسة من الموسيقى الغربية أو مستوحاة منها ، وكان من أثر هذا الاشراب أن اكتسبت الموسيقى الشرقية جدة وطرافة نفت عنها طابع التكرار المملول ، ونهضت بها نهضة بعيدة في سلم التطور الفني

أم كلثوم

و « عبد الوهاب » أسبق من « أم كلثوم » ظهورا في مضمار الغناء ، ولكنهما ما لبثا أن أصبحا فرسي رهان . فما استطاع « عبد الوهاب » بجدة تلاحينه ، وعمق وعيه للموسيقى ، واصالة تفننه في التعبير والاداء ، أن يخمل « أم كلثوم » أو أن يردها الى وراء ، وكذلك ما استطاعت « أم كلثوم » بحلاوة صوتها وعبقرية حنجرتها وعظمة اجتهادها أن تنفرد بمجلس الصدارة في عالم الغناء ، ليكون لها الصوت

المعلى دون ذلك الفنان الزميل ، وانه لمن العجب العجاب أن تصغى لكليهما أسماع الجمهور فى شغف وكلف ، وأن تنيلهما على السواء أقصى ما يصبو اليه الفنان من حفاوة وتكريم وتمجيد ، وكان الجمهور الطروب قد أحس بأن فى كل منهما ماليس فى الاخر ، وأنه لا غنية عنهما معا يزدان بهما عصر واحد

كان لى حظ الاستماع الى « أم كلثوم » أول مرة فى ملهى « الكورسال » حوالى سنة ١٩٢٠ ان لم تكن الذاكرة قد مضت بى بعيدا ، ولكنى لا انسى أنى لم أكد أستمع الى ذلك الصوت الجديد ، وهو غض فى حداثته ، حتى توقعت أن يكون له شان أى شان

وعلى الرغم من ان المغنية الناشئة لم تكن لها أهبة من الموسيقى الا أدوات بدائية بسيطة ، على نظام العهد القديم ، فانها استطاعت أن تسترعى الانتباه الى صوتها الذى كان ينساب الى القلوب فيهزها الطرب والاعجاب



منيرة المهدية ، هى وعبد الوهاب فى مسرحية ((كليوباترا)) .. !

وتتبعت مع الايام هذا الصوت الرائع ، فتحقق ظنى به ، وصدق حدسى فيه ، وما زال الصوت يتألق فى أجواء الشرق كله ، حتى لم يبق بين مختلف الاذواق خلاف على أن هذا الصوت حسنة من حسنات الفنون الجميلة فيه ، وأنه من الاصوات التى لا يسمح الزمن بمثلها الا بعد طول انتظار

ولا ينكر أحد أن « أم كلثوم » قد تدرج صوتها بالنمو والمرانة ــ فى مراتب الحلاوة والنصوع ، حتى بلغ الغاية التى تتقاصر دونها الاصوات ، **ولكن الحق الذى لا ينكر ايضا أن صوتها لم يكن فى نشأته بالهزيل ولا بالضعيف ، وتلك ميزة الفنان الاصيل ، ترى فى مطلعه مخايل الروعة ، وتلمح فى بداءته ما يكشف لك أسرار فنه الموعود**

ولقد كانت أمارة الغناء عهوداً متمايزة، لكل عهد طابع يحمل اسم صاحبه ، ولاشك أن « **أم كلثوم** » هى أميرة الغناء النسوى لهذا العهد . فكما طبع «**عبده الحامولى**» عهده باسمه ، وكما تميز « **الشيخ سلامة حجازى** » بغنائه ــ فكذلك طبعت «أم كلثوم» عصرها بغناء لا سبيل الى منافستها فيه

وهب الله « أم كلثوم » عبقرية تتمثل فى اكتمال حنجرتها ، وأعنى بالاكتمال ذلك الاقتدار على التنقل بين الطبقات الصوتية فى التغنى دون كبوة أو اعياء ، فهى حين ترسل صوتها ، تؤدى مختلف الانغام أتم أداء ، وتستوفى درجاتها دون أن يشوب الصوت شائبة . فلا تنكر منه شيئا ، ولا تستطيع أن تؤثر باعجابك طبقة منه دون طبقة ، حتى ليخيل اليك أن النغمة طوع قوة غلابة تصرفها حيث تشاء ، فتسحر الاسماع ، وتلعب بالالباب

كسب الفن السينمائى كسبا كبيرا بتلك الروايات التى مثلت فيها « أم كلثوم » أدوارا غنائية ممتازة ، واذكر منها «نشيد الامل » و « دنانير » و « سلامة القس » وصادفت هى فى ذلك مجالا لتلوين الغناء وامداده بصور طريفة . **وليت المسرح كان له من « أم كلثوم » مثل هذا الحظ ، اذن لشهدنا للمسرح الغنائى عهدا جديدا نصل به ما انقطع من عهد « منيرة المهدية » وما سبقها من عهد « الشيخ سلامة حجازى»**

وان «لام كلثوم» فضلا فى ترقية مستوى

ليت المسرح كان له من أم كلثوم مثل حظ السينه!



الغناء عند الرأى العام ، فهى التى أرهفت سمعه ، وهذبت ذوقه . اذ جملته يألف حلاوة صوتها الرخيم ، فأصبح يقيس بذلك الصوت المحبوب جمال الاصوات

غنت « أم كلثوم » بلغة الشعب فى مقطوعات عاطفية قريبة من افهام الشعب ، مثل « على بلد المحبوب » و « يا ليلة العيد » و « حلت ليالى القمر » ، وما برح يرددها . وكذلك غنت فى قصائد من عيون الشعر العربى قديمه وحديثه ، لا يفهمها الا الخاصة مثل « الامداح النبوية » ، و « النيل » ، و « رباعيات الخيام » ، فلم يقل افتتان الشعب بها ، واقباله على سماعها عن تلك المقطوعات السهلة المأنوسة. ذلك لان صوت « أم كلثوم » المحبب الى الناس جميعا ترنم هذا الشعر الجزل ، وأدى معانيه إلى القلوب

ويوما أريد « لام كلثوم » أن تقام لها حفلة تكريم ، فكتبت اقول :

« ما اغناها عن صوت يهتف باسمها ، فانها صاحبة الصوت الذى لا تخطئه اذن فى ارجاء الشرق من اقصاه الى اقصاه .. انه صوت من السماء ! »